

.. إذا لن يضيعنا



السبت 21 مارس 2015 08:03 ص

كتب: عامر شماج

جلس أمامي مطأطع الرأس حزينا، شارذ الذهن كمن أصابته مصيبة.. ما لك يا فلان؟!، نظر إليّ مغضباً -كأنه يعاتبني لعدم إحاطتي بأسباب همّه- قال: وماذا بعد؟!، أدركت ماذا يقصد.. إنه أحد الذين انجازوا للشرعية واهتموا بمجريات الأحداث بعد أن كان مشغولا على مدى خمسين سنة -هي عمره- بما تنشغل به غالبية شعبنا المسكين.. واليوم جاء محببًا، يشكو تأخر النصر وبروز الباطل وقد اسودت الدنيا في نظريه فلم ير بهما سوى ظلمات بعضها فوق بعض..

قلت: يا أخی، لعلك لا تدرك أن النتائج لا نقرها نحن، بل هي من صنع الله، في طريقها وزمنها المناسبين، وأنا مأمورون فقط بالسعى والعمل، فضلا عن اجتناب المعاصي والإكثار من الطاعات والاستعانة بالله في غدونا ورواحنا، وقبل ذلك الصبر على طول الطريق ومشقاته، فإن ذلك شطر الإيمان، وأنا -لا محالة- معرضون للابتلاءات، هذا إذا كنا صادقين في حبنا لله، مخلصين لشريعته ودينه، ولو نجا أحد من تلك الابتلاءات والمحن لنجا منها رسل الله، وهم المجتوبون الأخيار الذين صنعهم على عينه وبراہم على طريقته.

واستطردت: إن انتفاش الباطل وفرض سلطانه على الأغلبية بقوة البطش والسلاح لا يعنى أبداً أنه منتصر، إنما الحقيقة أنه في قمة انكساره، ولو كان واثقا من نفسه مطمئنا إلى الشعب الذي يحكمه ما ظل هكذا شاهرا سلاحه في وجه الجميع، متوترا مهووسا، يحسب كل صيحة عليه، ولتعلم أن الطغاة جميعا يسلكون هذا المسلك الحيواني، ليس لأنهم أقوياء ولكن لضعفهم وهوانهم يستترون خلف هذه الأسلحة لإجبار الأحرار على الاعتراف بهم والسير تحت لوأتهم، وإن كان هذا اللواء يجلله العار ويكسوه الشنار.

وقلت لصديقي: إن المؤمن الطائع الفاهم لدينه يثق في وعد الله للمتقين، مهما طال الطريق، فلا ييأس، ولا يقنط، ولا يبدل أو يغير؛ لعلمه أن القوى العزيز لا يضيع أوليائه، ولا ينسى أصفياه، فهو معهم أينما كانوا، داعما وحافظا ونصيرا. وأهل الشرعية يا سيدي لم يظلموا أو يفجروا أو يجوروا كي يتعرضوا لكل هذا الأذى والعذاب، إنما كل ما فعلوه أن قالوا ربنا الله، فنقم المجرمون منهم وأمرنا بقتلهم والتشنيع عليهم، وهذا لعمري هو عين ما جرى للأنبياء الله ورسله، فلم يؤذ نبينا الكريم قومه يوم أن جاء بدعوته، بل قال لهم -حرصا عليهم ورغبة في هدايتهم:- إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فردوا عليه بقول غليظ وفحش صريح، قالوا: تبأ لك سائر اليوم، وهكذا دأب الفاسدين يقابلون الإحسان بالإساءة، والحسن بالقيح، والعفة بالبذاءة.

ووالله لن يضيع الله قوماً أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وأرادوا لأوطانهم وأقوامهم خيرا، وإن عاداهم الخلق جميعا، وإن قتلوا وحرقوا وفعلت بهم الأفاعيل، ذلك أن الله غالب على أمره، وما حاده أحد إلا سلب عليه سيف انتقامه، وما أودى أحد في سبيله إلا كانت له عاقبة حسنى، وكان هو الأعلى، ألم تر ما فُعل بيوسف -عليه السلام- وقد انتقل من محنة إلى أخرى حتى ولاه الله الحكم، وأخذ ذكره في العالمين وجعله المثل الأعلى في الهدى والتقى والعفاف والإحسان؟

وانظر إلى ما جرى لموسى -عليه السلام- وقد كاد فرعون أن يلحق به ويقومه، ولم يكن أمامهم مهرب، فالبحر أمامهم والعدو خلفهم، لكن أراد الله أن يعطى الجائزة لأهله وخاصته، وأن يهلك من كفر به وبرسوله، فانفلق البحر فصار فيه موسى ومن معه، ودخله فرعون مغتراً بقوته وبمن حوله، فأغرق، ثم ينجو بدنه ليكون لمن خلفه آية، فهل اتعظ هؤلاء؟! لم يتعظوا لغباء فى عقولهم ولسواد فى قلوبهم، ما جعل نهاياتهم سوداء، أرادوها كذلك للرسول والدعاة، فكتبها الله عليهم عقيباً كالحمة ليشفى بذلك صدور قوم مؤمنين.

إن شعار المؤمن ما قاله موسى يوم نجاه الله وأغرق فرعون: {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: 62]، وهو نفسه شعار محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يوم نجاه الله من المشركين {ثَانِي تَيْنِ إِذْ هَمَّا فِي بَحْرٍ لِّصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنَ إِنَّ بِلَهِّ مَعْنَا} [التوبة: 40]، وهو نفسه شعار يوسف عليه السلام لما لخص تجربته فى الحياة {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقْ يَظْعَرْ فَإِنَّ بِلَهِّ لَا يَضِيعُ أَجْرُ بِيْحَسِّنِينَ} [يوسف: 90]، وهو نفسه شعار نوح عليه السلام لما سخر منه قومه عندنا كان يصنع السفينة لينجو بها ومن معه من المؤمنين، قال: {إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} <38> فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ يَحْلِي عَلَيْهِ عَذَابٌ مِّمِّيْمٌ} [هود: 38، 39].

هناك -إِذَا- من يغتمّ لما يرى من اجتماع المجرمين على دعوة الله، والتنكيل بأبنائها، وهؤلاء يحتاجون إلى مراجعة ما جرى للصالحين من قبلهم، وهناك الواعون الواثقون بربهم الذين يستبشرون لمثل هذا؛ فإن هذا إن وقع فهو يعنى أنهم يسيرون فى الطريق الصحيح، وأن النصر قاب قوسين أو أدنى منهم، اقرأ معى قول الله تعالى: {لَمَّا رَأَى بِيْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا بِلَهِّ رَبِّيْوَيْهِ} صدق بِلَهِّ رَبِّيْوَيْهِ مَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيْمَانًا} [الأحزاب: 22]، {بَدِيْنٌ قَالَ لَهُمْ بِنَاسٍ إِنْ بِنَاسٍ قَدْ جَمِعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا} قَالُوا حَسْبُنَا بِلَهِّ نَعْمَ بُوَكِيْلٌ} [آل عمران: 173].

لا خوف إِذَا على الدين، فالله حافظه، لكن الخوف -كل الخوف- على أنفسنا، أن نطاوعها فيما جبلت عليه من الركون إلى الدعة وإيثار السلامة، فتزل قدم بعد ثبوتها ونكون فى عداد الخاسرين {إِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالِكُمْ} [محمد: 38].. نسأل الله السلامة.

